القراءات المتعددة

إن تعدد القراءات للنص الواحد يقود إلى التعرض لنظرية تعتني بهذا الموضوع وهي التأويلية Hermeneutics، التي تعني تأويل النص تأويلا قد يتنوع بتنوع المتلقين. فيكتسب بهذا النص أبعادًا متنوعة لا يحدها الوقوف عند قصدية المؤلف.

كانت النظريات التي تعالج النصوص في بادئ الأمر ينصبّ اهتمامها على المؤلف مثل المنهجين الاجتماعي والنفسي، ثم ظهرت نظريات تولي الأهمية للنص لا للمؤلف ونادت بموت المؤلف كما هو الأمر عند الشكلانية والبنيوية. بعد ذلك ظهرت نظريات تجعل أهمية كبيرة للمتلقي ومن هذه النظريات التأويلية. ينسب إلى فريدريك شليرماخر الفضل في جعل التأويلية علما. كما أنه جعلها لا تقف عند تأويل النص الديني بل تتسع لتغدو كونية تشمل غيره من النصوص. وكون التأويل كونيا فإنه يضم عمليتين:

-عملية التفاعل بين المتلقي والنص.

-عملية التعامل مع المستوى اللغوي للنص.

لقد أكد شليرماخر أن القراءة فن وأن على قارئ النص أن يكون فنانًا مثل مؤلف النص. فالقراءة عملية إبداعية مثلها في هذا مثل الكتابة. وهو يدعو القارئ إلى فهم النص فهمًا أفضل من فهم المؤلف لنصه. وقد نحت التأويلية منحى فلسفيًا في القرن العشرين على يد بعض منظّري التأويلية مثل مارتن هايدغر صاحب كتاب (الكينونة والزمان)، ومثل هانس غادامار صاحب كتاب (الحقيقة والمنهج).

ويلاحظ أن بعض النصوص تدفع إلى تعدد القراءة أكثر من غيرها كونها مميزة وغامضة. كما يلاحظ أن القراءات تتفاوت في المستويات فبعض القراءات أعمق من غيرها وهذا يعود إلى تفاوت المتلقين في العمق والثقافة والدراية بطبيعة العمل.

مثال لتعدد القراءات لنص محمود درويش (ريتا والبندقية)

–النص:

بين ريتا وعيوني.. بندقيهْ

والذي يعرف ريتا ، ينحني

ويصلي

لإلهٍ في العيون العسليّهْ!

وأنا قبّلت ريتا

عندما كانت صغيره

وأنا أذكر كيف التصقتْ

بي، وغطّت ساعدي أحلى ضفيره

وأنا أذكر ريتا

مثلما يذكر عصفورٌ غديره

آه ريتا

بيننا مليون عصفور وصوره

ومواعيد كثيره

أطلقتْ ناراً عليها.. بندقيّهْ

إسمُ ريتا كان عيداً في فمي

جسم ريتا كان عرساً في دمي

وأنا ضعت بريتا سنتينِ.

وهي نامت فوق زندي سنتين

وتعاهدنا على أجمل كأس، واحترقنا

في نبيذ الشفتين

وولدنا مرتين!

آه ريتا

أي شيء ردّ عن عينيك عينيَّ

سوى إغفاءتين

وغيوم عسليّهْ

قبل هذي البندقيهْ!

كان يا ما كان

يا صمت العشيّهْ

قمري هاجر في الصبح بعيداً

في العيون العسليّهْ

والمدينة

كنست كل المغنين، وريتا

بين ريتا وعيوني بندقيّهْ.*

-القراءات الممكنة:

-قراءة حرفية: هنا يبكي الشاعر حبيبته ريتا التي قتلت ببندقية.

-قراءات أعمق:

-الشاعر يذكر في قصيدته ألمه لفراق حبيبته بسبب معوق ما (البندقية) وقد يكون هذا المعوق اجتماعيًا أو دينيًا أو عرقيا أو... .

-بما أن ريتا قد تكون حبيبة الشاعر اليهودية التي أحبها في صباه فقد يعني بالبندقية توتر العلاقة بين فلسطين وإسرائيل، لذا قد يُفهم أن الشاعر ليس مع هذا التوتر ومع السلام.

–قد يكون اسم ريتا رمزيا يعني به الشاعر الحياة الطبيعية وقد تكون البندقية أيضا رمزية يعني بها الشاعر سوء الأوضاع السياسية في فلسطين بما أن الشاعر فلسطيني. فيكون بهذا المعنى أن سوء الأوضاع السياسية في فلسطين حائل بين الفلسطيني والحياة الطبيعية.

---

* القصيدة من ديوان (آخر الليل) المنشور عام ١٩٦٧م.

المراجع

دايفيد جاسبر. (٢٠٠٧). *مقدمة في الهرمينوطيقا*. (وليد قانصوه، المترجمون) بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

عادل مصطفى. (٢٠٠٧). *فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا (نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر*. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.